

واجب الرعاية نحو رعاياهم

اخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنها قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل-كم راع وكل-كم مسئول عن رعيته ، والامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، قال : وحسبت أن قد قال : والرجل راع في مال ابيه ومسئول عن رعيته ، وكل-كم راع ومسئول عن رعيته .

يبين الرسول الاعظم ﷺ واجب الرعاية نحو رعيته ، وهو واجب خطير ومسئولية عظيمة ، وأمانة كبرى ، جعلها الله في عنق من استرعاه رعية ، ووكّل اليه أمر جماعة من الناس فهو مسئول عنهم ومطالب بهم بين يدي احكام الحكيم . وواجب الرعاية القيام بمصالح رعيتهم بالحفظ والامانة ، وحسن التدبير والصيانة ، والاحسان اليهم ، والعطف عليهم ، فمن فعل ذلك وقام به حق القيام كان تقديره لديهم عظيماً ، وثوابه عند الله كبيراً ، وأجره جزيلاً . وإن قصر في الرعاية وخان الامانة وأهمل الواجب وأساء المعاملة ولم يراع حق الله فيهم كان سخطهم عليه عظيماً وباله عند الله كبيراً ، وقد اقترب إثمنا ، وعملاً شائناً لا

الراعي : الحافظ المؤمن . والرعية : كل ما يشمله حفظ الراعي ونظره .

مبرور له أبداً . ثم بدأ عليه السلام مبيناً على سبيل التفصيل بمد الاجمال واجب
الرعاة على اختلاف أعمالهم فبدأ بالامام أولاً .

فامام الناس من سلطان أو أمير ، وملك أو رئيس ، فهو راع لأمنته ضامن
لمصالحهم مسئول عنهم وعمن تحت إمرته ، من أهل مملكته وسلطنته ، كقبيل
بتنفيذ أحكام الله بهم من إقامة صرح العدالة ودك صرح الظلم وإبادة الجور
والباطل ، فهو خليفة الله في أرضه بتنفيذ احكامه ، واحلال حلاله ، وتحريم
حرامه ، واقامة حدوده والضرب على ايدي المفسدين ، ورد اعتداء المعتدين ،
ومراقبة الخونة والمتلصقين ، والتنكيل بالجرمين ، والاختياد بيد المظلومين وغير
ذلك من توطيد دعائم الأمن وسيادة السلام والطمأنينة بين الناس . وأن يسلك
سيرة السلف الصالح والخلفاء الراشدين ، وسيرة النبي الكريم ، وأبي بكر وعمر
في المسلمين . فيستمع لأقوال رعيته كما كانوا يستمعون ، ويصني لهم كما كانوا
يصنون . يحترم آراءهم ، ويحل مشاكلهم ، ويقبل نصائحهم ، ويواسي بائسهم ، يحل
المعالم ، ويحترم الفضلاء ، ويبدأ بالمشورة أهل الرأي والحجج منهم تمطيقاً لقلوبهم
وعليه أن لا يفتخر بمظاهر الملك الفارغة ، وينتدع بهرجة الكاذب ، وينقطع الى ما هو
فيه من أمر ونهي ، وعظمة وكبرياء ، ويترك الناس وشأنهم ، فإن الله مطلع عليه
وناظر اليه ، ومراقب لأعماله ، وليعلم انه مسئول عن كل فرد من رعيته أمام من
لا تخفى عليه خافية ، فليستمد للجواب بين يدي الله المنتقم الجبار ، وليتدبر قول الله:
(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

وكذلك الرجل في بيته فهو قائد أسرته ، ورب مملكته ، الأمر الناهي المسموع الكلمة
والمطاع الجانب في رعيته ، فليحسن قيادتهم ما استطاع ، الى طرق الخير والفلاح ، وعليه ان
يربهم تربية صالحة عمادها الآداب القويمة ، والاخلاق الكريمة ، والمعادن الطيبة المستقيمة ،
والعلم الصحيح ، والثقافة الحقة ، ويروضهم بالمحافظة على شعائر الدين ، والقيام
بفرائض رب العالمين . سواء في ذلك بنوه وبناته ، وإخوانه وأخواته ، وزوجه

وخدمه ، واقربائه ورحمه ، وكل من كان من اعضاء أسرته ، أو تحت ولايته ،
 وأن يعتمد بهم بقوله وفعله عن الامور الدنيئة ، والالفاظ القبيحة المستحججة ،
 والعادات الذميمة ، وأن يحسن لزوجته العشرة وبما ملها بالاحسان والمعروف لا
 بالشدّة والقسوة ، وأن يعامل سائر والده باللين والحكمة ، لا بالعنف والغلظة .
 وأن يسلك الطريق الوسط في النفقة فلا يكون مقترراً شحيحاً فيعاقبه اهله ويمقتّه
 اولاده ، ولا يكون مبذراً مسرفاً فيؤدى بهم الى طرق المهالك والضلال . وليعلم
 أنه وحده المسئول عنهم والمطالب بهم أمام الله والناس ، وليتدبر ما جاء في الآية
 الكريمة (يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) .
 وكذلك المرأة راعية في بيت زوجها فهي ربة المنزل ومصالحة البيت وام البنين
 والبنات فيها يقتدون بأعمالها يتأسون ، ومن لبنانها يرضعون ، فصلاحتها صلاح لهم
 وفسادها فساد لهم ، فينبغي أن تكون مثالا صالحاً وقدوة حسنة حازمة في أعمالها
 حكيمة بترتيبها ، مدبرة لمصالح بيتها ، أمينة على ما ائتمنت عليه من محتويات البيت
 ومشتعلاته حافظه له تسارع في إطاعة زوجها بامتثال أمره والعمل على وفق مراده
 قائمة بحقوق الزوجية والبيت من غير خلل أو تقصير ، ولا ينبغي أن تكون مثال
 المرأة الطائشة التي لا تقدر حق المنزل وما استرعيت به من ولدها وخدمها وامور
 بيتها ، وإنما تصرف الوقت بالتفكير في الزينات ، والقيام بالزيارات ، وعلى
 الشوارع والطرقات .

فهذه ومثيلاتها وبال على المجتمع باخراج نسل لا يراعي الآداب العامة ، والاخلاق
 الكريمة ، وخطرها كبير وحسابها عند الله عظيم .
 وكذلك الخادم راع في مال سيده ، وأمينة عليه وحافظ له ، فواجبه أن
 يراعه ورعايته لماله ، وينميّه تنميته لمكاسبه ، يرأف بحيوانه ويرحمه ، ويتفقدّه
 ويصلحه ، فانه مسئول عنه ومطالب به من الضياع .
 وكذلك الولد راع في مال ابيه ، فعليه أن يحفظه ويرعاه ، ويحوطه بالعناية

والاصلاح ، وأن لا يهمله وينساه ، ولا يخونه فيما جناه ، وما محافظته عليه الا
محافظة على .اله ورزقه وتدبير لمستقبله ، وبعد قليل من الزمن عائد اليه .ومستول
عليه ، فابتق الله في عمله ، وفيما استرعي به واثمن عليه .

ثم ختم النبي ﷺ قوله بما استهل به في بدء هذا الحديث الشريف (وكلكم
راع ومسئول عن رعيته) فلا تكاد تجد انسانا عظيما او حقيراً ، غنياً او فقيراً ،
مأموراً او أميراً ، إلا وكل اليه عمل استرعي فيه فليحسن إدارة ما استرعاه به الله ،
والقيام بحقه ومقتضاه ، وأعظم ما استرعي عليه نفسه أن يزجرها عن طرق
الموبقات ، ويسير بها في سبل الصالحات ، وإن لم يفعل فقد غشها وهو مسئول
عنها ، والعالم راع في دائرة اختصاصه ومسئول عن رعيته ، والوزير راع في وزارته
ومسئول عن رعيته ، والنائب راع لمن ناب عنهم ومسئول عن رعيته ، والمعلم راع
في مدرسته ومسئول عن رعيته ، والصانع راع في صنفته ومسئول عن رعيته ،
وكلكم راع ومسئول عن رعيته .

والحديث أصل عظيم في القيام بالواجبات المطلوبة ، والرعاية الحسنة لكل فرد
استرعاه الله رعية ، واثمنه أمانة ، فليثق الله الرعاية وليحافظوا على ما ائتمنوا عليه .



الدرس الثالث والعشرون

التحذير من فن المال

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال : إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل يارسول الله : أو يأتي الخير بالشر فسكت النبي ﷺ فقيل : له ماشأذك تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك فرأينا أنه ينزل عليه الوحي قال فمسح عنه الرخصاء فقال أين السائل وكأنه حمده فقال : إنه لا يأتي الخير بالشر وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم إلا آكلة الخضراء أكلت حتى إذا امتدت خصرتها استقبلت عين الشمس فتلطت وبالت ورتمت وإن هذا المال خضرة حلوة فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال النبي ﷺ : وإنه من يأخذه بغير حقه كمن يأكل ولا يشبع ويكون شهيداً عليه يوم القيامة .

* * *

خير الواعظين وعظما ، وأجدهم نفعا ، واحسنهم صنعا ، واعظمهم أثرا ، من يتخيرون الاوقات المناسبة ويقتنمون الفرص المواتية لارشاد النائمين ، ورد المختارين وانقاذ الضالين من مهاوي الفتن والشرور ، وهذا هو السيد الحكيم ﷺ بتخير الاوقات الملائمة للموعظة والارشاد . وهذا عبد الله بن مسعود يقول : كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السامة علينا . وها هو ذا النبي ﷺ وقد جلس ذات يوم على المنبر (والصحابة حوله مصفون لقوله ، وأعون لكلامه ملتزمون للسكينة والوقار مشربون لما سيلقى عليهم من الاقوال الحكيمة والمواعظ

الثمينة ، وإذ النبي يستهل الموعدة بقوله : (إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح
 عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) وهذه فقرة بسيرة من جوامع كلمه ﷺ حوت على
 إيجازها بشارة الصحابة الكرام بما سيكون على أيديهم من فتح البلاد واخضاع
 العباد وجلب الاموال الطائلة والنفائم الكثيرة وتحذيرهم من الغرور والركون الى
 هذه الاشياء الفانية والاعراض الزائلة واذا بسائل يسأل ويقول يا رسول الله : (أو
 يأتي الخير بالشر) أي أنصير نعمة الله التي هي زهرة الدنيا وزينتها عقوبة ووبالا
 فيسكت النبي ﷺ سكوت المعمن في هذا الامر المفكر فيه ، ولم يلبث قليلا إلا
 واخذه من الفشيان ما يأخذه عند زول الوحي وفي هذه الفترة أخذ الصحابة
 الكرام يؤنبون الرجل السائل قائلين له : أي عمل عملته ، وأي ذنب اقترفته وأي
 خطيئة اجتبتها تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك حتى فرج عن النبي ﷺ وزال ما به
 من الفشيان والعرق يتصبب من وجهه الشريف وهو يمسحه بيده ثم يقبل عليهم
 وعلام البشر تلوح على وجهه الشريف وهو يقول : (ابن السائل وكأنه حمده انه
 لا يأتي الخير بالشر) فما قدر أن يكون خيرا يكون خيرا وما قدر ان يكون شرا
 يكون شرا وإن الذي أخاف عليكم تضییعكم نعمة الله وصر فكم إياها في غير ما أمر
 الله فلا يتعلق ذلك بنفس النعمة وأضرب لكم مثالين حكيمين أحدهما مثل المفرط
 في جمع الدنيا والآخر مثل المقتصد فيها. أما الاول فثله مثل الربيع وذلك قوله :
 فان مما يفت الربيع يقتل أو يلم بأن يقارب الهلاك فهذا المطر ماء السماء ينزله الله
 لاغائة الخلقين وإرواء كل ذی روح من إنسان او حيوان فرغم فوائده الكثيرة
 ومنافعه الغزيرة وما يتسبب عن ذلك من إنبات العشب والكلأ يأكل منه الحيوان
 فيكثر فينتفع فيهاك أو يقارب الهلاك ، وكذلك الذي يكثر من جمع الدنيا ولا
 سببا من غير حلها ويمنع ذا الحق حقه فيستحق عذاب الله في الآخرة ومقت الناس
 في الدنيا وغير ذلك من أنواع الأذى الكثيرة (ولو بسط الله الرزق لمباده لبغوا
 في الارض) .

وأما مثل الثاني المقتصد في جمع الدنيا الطاب حلها فقد مثل له عليه السلام بقوله : (إلا آكلة الخضراء) فكانه قال ألا انظروا آكلة الخضراء واعتبروا بشأنها (أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها) وعظم جنبها اقلعت عنه سرهما و (استقبلت عين الشمس) لستمرى بذلك ما أكلت وتجتره (فثلطت) أقت ما في بطنها من أذى سهلا رقيقة (وبالت ورتمت) في مرعاها، وهذا مثل المقتصد في جمع الدنيا المؤدي حقها الناجي من وبالها كما نجت آكلة الخضراء ثم اتبع ذلك بقوله : (وان هذا المال خضرة) من حيث المنظر (حلاوة) من حيث الطعم فلا يفرنكم خضرة لونه وحلاوة طعمه، ثم أخذ يعرفهم صلوات الله وسلامه عليه الدواء الناجح والترياق الشافي لداء تلك الفتنة بقوله : (فنعلم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال النبي ﷺ) مما يقارب ذلك بأن يصرفه في وجوه الخير والبر والاحسان من إعانة المنكوبين، وإغاثة المهوفين وعمارة المدارس والمستشفيات والمطاف على ذوي الحاجات والمهاجرين لا يستطيعون الكسب لانفسهم وعيالهم على ما اشارت اليه الآيات الكريمة كقول الله جل شأنه : (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ثم اتبع عليه السلام ذلك بقوله : (وانه من يأخذه بغير حقه) بأن يجمعه من الحرام او من موارد مشبوهة او لم يخرج منه حقه الواجب فيه فهو (كمن يأكل ولا يشبع) لانه كلما نال منه شيئاً از دادت رغبته وقويت نهمته واستقل ما عنده (ويكون شهيداً عليه يوم القيامة) بقبح الحال وسوء المال .

هذا واني أرى أن لا مندوحة لنا من التلميح بذكر بعض العوامل والتغيرات الناتجة من أثر المال تحقيقاً للفرض المقصود من شرح هذا الحديث الشريف فأقول : كانت الاموال في عهد النبي ﷺ يسيرة وقليلة فبعد انتقاله الى الرفيق الاعلى أخذ الخلفاء يجهزون الجيوش ويمدون السلاح لفتح ما جاورهم من البلاد ونشر دعوة الاسلام إلى ان مكنتهم الله من عدوم بعد حروب شديدة كان فيها الظفر

للمسلمين فكثرت الاموال وعظمت الغنائم والطايباتى اذ ابا هريرة عند قدومه من
البحرين جاء عمر بن الخطاب وقال : يا اُمير المؤمنين جئتك بخمسة مئة الف درهم
فدهش عمر من ذلك وارتاب فقال يا ابا هريرة : اندري ما تقول قال : نعم مئة الف
خمس مرات فصعد عمر المنبر وقال : أيها الناس قد جئنا مال كثير فان شئتم كلنا
لكم كيلا وإن شئتم عددنا لكم عدائتم تزايد المال على هذا الحد فبعد ان كان عمر
دهشاً من هذه الثروة اصبحنا نرى في عهدنا اموال فارس والروم تملأ بيت مال
المسلمين ولقد قال : قال لعمر بن الخطاب بعد ان اتاه بطائل الاموال صياحاً فلم
يمس الا وقد فرقها يا امير المؤمنين لو تركت في بيوت الاموال شيئاً يكون عدة
لنا في حادث يحدث فصكه عمر في صدره وزجره وقال له : تلك كلة القاها الشيطان
على فيك وقابلي الله شرها وهي فتنة لمن بعدي ، إني لا اعد للحادث اذا حدث سوى
طاعة الله ورسوله وهي عدتنا التي بلغنا بها ما بلغنا .

بعد هذا العهد المجيد عهد الزهد والورع جاء عهد الترف والاسراف مما كان له
اعمق الاثر في تغيير الاحوال وفساد الاوضاع وهو ما خشيه ﷺ على امته من
الافتتان بزهرة الدنيا وزينتها .

وحقاً ان المال لهو المحك الوحيد لمعرفة صدق الرجال واختبارهم وتمييز
احوالهم ، فلي العاقل الا يفترب بما هو سراب وان يتدبر قول الله جل شأنه
(يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيئاً إن وعد الله - ق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) .

الدرس الرابع والعشرون

الكبر والتواضع

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ: تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي ، وقال للنار إنما أنت عذابي اعذب بك من أشياء من عبادي واكل واحدة منها ملؤها أما النار فلا تمتلي حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط فهناك تمتليء ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله تعالى ينشيء لها خلقاً .

* * *

الكبر مرض عصال ، وداء وييل قتال ، وما بالك بمن يستنكف ان يكون لله عبداً شكوراً مطيعاً ، ولا امره ممتثلاً ، ولدينه منقاداً ، ولرسوله متبماً ، ولاحكامه منقاداً ولذنبه مستغفراً ، والمتكبر منازع لله في الربوبية ومتصفاً بالجبروتية ، ولهذا تجده جافي الطبع غليظ القلب عتلاً فظاً جواظاً غليظاً قاسياً عنيداً وقحاً مريضاً عن قبول الحق ، وارشاد المرشد ، وقول الناصح ، لما قوي في نفسه واستحكم في لبه من سيطرة الغرور المذموم والحمية والانفة ، والغطرسة والعجب ، وكان مثله مثال من قال الله تعالى فيه ونزل بحقه: (واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) فمثل هذا بعيد من رحمة الله ومفترته واحسانه وعطفه (إن رحمة الله قريب من المحسنين) وبقيض من الله تعالى (إنه لا يحب المتكبرين)

وربما هؤلاء الاقوام يعدم الله بانواع النعم وسعة الرزق وقوة الجسم والعافية فلا
يوجع لهم جسماً ولا يرضي لهم بدنًا ثم يأخذهم اخذاً ويلا قال تعالى: (إنما نعلمهم
ليزدادوا إثمًا) وحسبك ان الكبر من صفات اهل النار من غضب الله عليهم
وابعدم من رحمته، وطردهم من جنته، وهو ناشيء عن قسوة القلب وفقدان الرحمة
وخلوه من الطاعة وتراكم الذنوب والآثام، وضمف اليقين والايان، وإعراضه
عن احكام الله تعالى وانقياده لهوى نفسه والشيطان، لأن المتكبر يرى نفسه فوق
خلق الله واعظم منهم وذلك الفرور والتكبر مستمد من الشيطان إذ قال لربه:
(أنا خير منه) ترفماً واستكباراً فكان نصيبه من الله الطرد واللحن والخلود في
النار. او كمن قال فيه ربنا سبحانه: (واذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً كأن لم
يسمها كأن في اذنيه وقراً فبشره بعباد اليم) واخرج الامام احمد من حديث
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (من تعظم في نفسه واختال في
مشيه اتى الله تعالى وهو غضبان) فليحذر المرء ان يتصف بهذه الآفة الرذيلة،
والخصلة الويلة، وليجهد نفسه ان يكون من عباد الله حقاً، وخلص اوليائه صدقاً،
منقاداً لاوامره مسارعاً لرضاه، مبتعداً عما نهاه، مدعناً له بالالوهية، مقرأ له
بالوحدانية، ذا قلب سليم، وضمير تقي، وخلق رضي، وعمل مستقيم، عطوفاً
على عباد الله تعالى وبهم رهوفاً رحيماً كما قال تعالى لرسوله: (واخفض جناحك
للمؤمنين) فكن أيها المؤمن الماقل بمن تواضع الله اتكون في زمرة من قال فيهم:
(اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) لما تحققوا به من
مقام العبودية وحسن التواضع. ومن تأمل في وصف الله سبحانه لنبيه ﷺ
بالعبودية مع توفر الاوصاف والنموت بقوله: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) علم فضل هذا المقام وسعى للدخول في افراده
والتحقق بمنه، طلباً للفوز بجنته، والسعادة برضاه. واليك ما جاء في هذا الحديث
الشريف من محاجة الجنة والنار.

(تحتاج الجنة والنار) اي تنازعنا بلسان احوال او المقال بأن اودع الله بكل
منها القدرة على التطق والكلام (فقالت النار أوثرث) بمعنى اختصت (بالتكبيرين
والتجبرين) لفظان مترادفان نمة فالثاني تأكيد الاول، او التكبير المتمطم بما ليس
فيه والتجبر لمنوع الذي لا يوصل اليه ولا يقدر عليه، والذي لا يبالي بضعفه
الناس وسقطهم ولا يقيم لهم وزناً ولا شأنًا لعدم اكترائه بهم (وقالت الجنة مالي
لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم) المحترقون بين الناس الساقطون من اعينهم
فلا يلتفت اليهم لمسكنتهم، وتواضعهم لربهم سبحانه. وفي حديث البخاري وغيره
في صفة اهل الجنة واهل النار عن حارثة بن وهب عن النبي ﷺ قال: ألا
اخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لأبره، إلا اخبركم بأهل
النار كل عتل جواظ مستكبر (ثم قال عليه السلام في هذا الحديث الذي نعاني
شرحه: (فقال الله عز وجل: للجنة انت رحمتي) اي محلها (ارحم بك من اشاء
من عبادي) وانما فسرنا قول النبي ﷺ انت رحمتي بمحل الرحمة لأن الرحمة من
صفات تعالى التي لم يزل بها موصوفاً (وقال للنار: انت عذابي اعذب بك من اشاء
من عبادي ولكل واحدة منها ملؤها فأما النار فلا تمتليء حتى يضع رجله)
وانكر ابن فورك لفظ رجله وقال انها غير ثابتة، وقال ابن الجوزي هي تحريف
من بعض الرواة، ورد عليها برواية الصحيحين بها، واوتت بالجماعة وقال البغوي: القدم
والرجل في هذا الحديث من صفات الله تعالى المنزه عن التكيف والتشبيه فالإيمان
بها فرض والامتناع عن الخوض فيها واجب فلم تدي من سلك فيها طريق التسليم
والخائض فيها زائع والمنكر معطل والمكيف مشبه ليس كمثلته شيء (فتقول) النار
(قط قط قط) ثلاثاً (فهناك تمتليء ويزوي بمضها الى بعض) اي يجتمع وتلتقي
على من فيها ولا ينشيء الله تعالى لها خلقاً كما للجنة (ولا يظلم الله عز وجل من
خلقه احداً) لم يعمل سواً فلا ينشيء لها خلقاً يمدبهم لاستحالة الظلم عليه

سبحانه عقلاً وقللاً (وأما الجنة فإن الله تعالى ينشئ لها خلقاً) لم تعمل خيراً حتى
تمتليء وفي حديث انس عند مسلم مرفوعاً : يرقى من الجنة ما شاء الله ثم ينشئ الله
تعالى خلقاً مما يشاء .

فالماعل من يحسن معاملة اخوانه وجيرانه ويقضى حوائجهم ويسمى جلب
النفع لهم ويكون حسن المعاملة والاخلاق وليسارع الى مغفرة الله ورحمته
فسمى أن يشمله باحسانه ويممه بمفوه وغفرانه (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) .



آثار الصحابة اخوانهم على انفسهم

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلنا مامعنا إلا الماء فقال رسول الله ﷺ : من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من الانصار : أنا فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ . فقالت : ما عندنا الا قوت صبياني فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك اذا أرادوا عشاء . فهيات طعامها ، واصبحت سراجها ، ونومت صبيانها ثم قامت . كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعل يريانه انها يا كلان ، فأتانا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال ضحكك الله الليلة ، وعجب من فعالكما .

مزايا عالية ، واخلاق كريمة ، وصفة حسنة تتجلى واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، ظاهرة لكل ذي لب سليم ، وعقل صحيح مستقيم ، إلا من أضل الله سميه ، واعمى قلبه ، وحاد به شيطانه عن جادة الحق والصواب ، كان يتحلى بها اصحاب رسول الله ﷺ وتظهر بهم واضحة جليلة في مناسبات عديدة ومواقف كثيرة كان لهم فيها القدح المملى والذكر الحسن . وكما ان الله سبحانه اختار نبيه محمداً ﷺ على سائر اخوانه من الانبياء والمرسلين ، وخصه بمزايا لم تكن لاحد من العالمين ، كذلك اختار لصحبة نبيه خيرة الناس من خلقه وخصهم بمزايا لم تكن لسواهم من الناس اجمعين ، حاشا الانبياء والمرسلين ، واثى عليهم سبحانه في

غير موضع من القرآن الكريم تنبهاً على جلاله قدره ، وعلو منزلتهم ، وعظيم فضلهم وشرفهم . فقال تعالى يصفهم بشدة الرحمة ولين الجانب لبعضهم بعضاً وشدتهم على الكفار الماندين وغير ذلك من الاوصاف العتيرة بقوله : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يفتنون فضلاً من الله ورضواناً سيأثم في وجوههم من أثر السجود) وقال سبحانه أيضاً يصف اصحاب نبيه ﷺ من مهاجرين وانصار بأفضل ما يصف به انسان (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يفتنون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) فوصفهم سبحانه في عجز هذه الآية بشدة الايثار مع وجود الفاقة . ولمعني إنه وصف جليل لو تخاق به مسلمو عصرنا الحاضر لو أننا آثاره الحسنة ، وفوائده الجملة ، ومنافعه العميمة في مختلف اعمالنا . ثم عقب سبحانه بامضى من الآيات بوصف عام يشمل المؤمنين بعد الصحابة الكرام من مهاجرين وانصار الى يوم القيامة فقال : (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) واثى الله على اصحاب نبيه ثناء عاماً لم يدع منهم احداً الا شمله ووعد بالحسن كما قال سبحانه : (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقالوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) وغير ذلك من الآيات الكثيرة ، والوصايا البليغة على لسان سيدنا رسول الله ﷺ امسكنا عنها خشية الاطالة . والميك ما نحن بصدده في شرح هذا الحديث الشريف في بيان شيء من اثار الصحابة رضي الله عنهم ليكون مثالا يحتذى به لدى مسلمي العالم اجمع .

اني ابو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي النبي ﷺ يوم اشأ كياً له ما يجده

من الم الجوع وما اصابه من الجهد (فبعث) عليه السلام (الى نسائه) امهات المؤمنين يطلب منهن ما يضيفه به ليزج عنه ما يجده من الم الجوع وشدته (فقلن مامعنا) اي عندنا الا الماء (فقال رسول الله ﷺ من يضم) اليه في طعامه وعلى مائدته (أو يضيف) وهذا شك من الراوي ، وفيه بيان حرص الصحابة على الفاظه ﷺ من غير تصرف فيها . (هذا) الرجل ويعني به النبي ﷺ ابا هريرة (فقال رجل من الانصار أنا) اضيفه يا رسول الله . وقد اختلف في تعيين هذا الرجل ففي رواية مسلم فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة وعلى هذا فالرأة ام سليم والاولاد انس واخوته ، لكن استبعد الخطيب ان يكون ابو طلحة هذا هو زيد بن سهل فقال هو رجل من الانصار لم يعرف اسمه ، ووجهه ان هذا الرجل المضيف ظهر من حاله أنه قليل ذات اليد فانه لم يجد ما يضيف به الا قوت اولاده وابو طلحة زيد بن سهل كان اكثر انصاري بالمدينة مالا من نخل كما مر آنفاً معنا في موضعه . وقيل هو ثابت بن قيس ، او عبد الله بن رواحة .

(فانطلق به الى امرأته فقال اكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت ماعندنا الا قوت صبياني) ولا طاقة لهم بالصبر على الجوع (فقال) لها مرشداً ومبيناً ما ينبغي أن تعمله (هيئي طعامك واصبجي سراجك) اي اوقديه (ونومي صبياك اذا ارادوا عشاء) وانما نوموا الصبيان جياعا قضاء لحق رسول الله ﷺ واشارته له واكراما لضيفه وقياماً بواجبه وحقه (فهيات طعامها واصبحت سراجها ونومت صبيانها) صرفا لهم عن العشاء (ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلها) اي الانصاري وزوجته (يريانه أنها يا كلان فباتا طاويين) بغير عشاء ، واكل الضيف طعام الصبية الصغار وما هيء لهم (فلما أصبح غداً الى رسول الله ﷺ فقال) له النبي ﷺ (ضحك الله اللبلة) ونسبة الضحك والتعجب الى الله تعالى مجازية لاستحالة ذلك عليه سبحانه ، والمراد بها هنا الرضى بصنيعها والثناء عليها بما اظهرت من ايثارها مع الفاقة الشديدة والحاجة الماسة قياماً بواجب ضيفه ﷺ . فأزل الله

عز وجل تكريماً لها وبياناً لحسن اثارها قوله: (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) اي فاقه . وشدة حاجة .

ومن اثارهم أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احدهما ويزوجها واحداً من المهاجرين . وكانوا يقدمون غيرهم في الاموال مع احتياجهم اليها وهذا الوصف لا يخص الانصار فحسب فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال أهدي لرجل من اصحاب النبي ﷺ رأس شاة فقال إن أخي فلاناً وعباله أحوج إلى هذا مني فبعته اليهم فلم يزل يبعث به واحداً إلى آخر حتى تداولها سبعة بيوت ثم عادت لي الاول . هذه مزايا نبيلة مكنتها النبي ﷺ في نفوس اصحابه ولا تتمكن هذه الصفات في امة من الامم الا ويكتب لها السعادة والمجد ، والظفر والبقاء ما بقيت متمسكة بأهدابها محافظة عليها ولا تعرض عن هذه التعاليم والاخلاق امة إلا ويكتب عليها الذل والشقاء والهلاك والدمار مادامت معرضة عنها جادة على الاخذ بسواها .

وما اوردناه في حق الصحابة الكرام وبيان اثارهم وفضلهم فهو قليل من كثير بل نمودج يسير اوردناه على سبيل العظة والتذكيرة لعل الله تعالى يوفقنا الى التأسى باعمالهم، وتذبح آثارهم، والسير على نهجهم القويم، وطريقهم المستقيم، فبئس التوفيق والهداية .

الدرس السادس والعشرون

آداب المائدة

أخرج البخاري في صحيحه عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك ، فما زالت تلك طعمتي بعد .

من الآداب الحسنة التي ينبغي المرء أن يتحلى بها ، ويتجمل بالمحافظة عليها ، ما أمر به النبي ﷺ عمر بن أبي سلمة في هذا الحديث الشريف .

كان عمر بن أبي سلمة غلاماً صغيراً دون سن البلوغ والتكليف ، وكان في حجر الرسول ﷺ وتحت رعايته ونظره ، وهو ابن أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي عنها : بينما كان يأكل ذات يوم مع النبي ﷺ إذ لحظ النبي ﷺ منه عدم مراعاة آداب الطعام وانائفة فأرشده إلى ما ينبغي المحافظة عليه من الآداب عند إرادة الأكل (فقال) له صلوات الله وسلامه عليه على سبيل التعليم والارشاد . (ياغلام سم الله) طرداً للشيطان وتبركاً باسم الله الكريم وذكره العظيم ، ويستحب الاتيان بها من كل واحد بناء على ما ذهب إليه الجمهور من أن سنة الكفاية كفرضها مطلوبة من الكل لا من البعض ومثل الأكل والشرب بل كل أمر ذي بال وشأن لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتى وناقص وقليل البركة والخير كما ثبت في الحديث عنه عليه السلام ، وأكملها بسم الله الرحمن الرحيم فإن تركها في ابتدائه سهواً أو عمداً أتى بها

الحجر كما في المصباح بالفتح وقد يكسر حضنه وهو مادون إبطه إلى الكشح

وهو في حجره : أي كنفه وحمايته . وتطيش تتحرك .

في أثنائه ، ولو سمي مع كل لقمة فهو أولى وأحسن حق لا يشغله الشره في الطعام عن ذكر الله تعالى. ثم أتبع عليه السلام ذلك بقوله (وكل بيمينك) والقيام مندوب في كل ما هو من باب التكريم كغسل ووضوء ولبس ثوب ودخول مسجد وفي الأكل والشرب وغير ذلك . واليسار لضد ذلك كامتخاط واستنجاة وخروج من مسجد وما أشبهه، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب القيام في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله رواه البخاري ومسلم ، وروى أبو داود بإسناد صحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه ، وكانت اليسرى لخلائه ، وما كان من أذي ، وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ رأى رجلاً يأكل بشماله ، فقال : كل بيمينك قال : لا أستطيع قال : لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد . ثم قال عليه السلام : (وكل مما يليك) وهو من الآداب المحبوبة لأن أكله من غير ما يليه فيه دليل على شرهه ، وزيادة نهمه ، وسوء أدبه ، وتمدد على حقوق غيره ، وأن النفس تعافه وتستقدره لاسيما في المائعات من الأطعمة ، أما الفاكهة والتمر وأشباهها فقد نقل العلماء جواز اختلاف الأيدي وحسن الاختيار في الطبق ، والأكل أن يأكل المرء مما يليه فاكهة أو تمرأ أو غيرها ، وفيه دلالة على حسن أدبه وجميل مودته وعشيرته. فيقول عمر بن أبي سلمة راوي هذا الحديث : (فما زالت تلك طعمتي بمد) أي صفة اكلتي عملاً بموعظته وإرشاده .

هذه آداب يسيرة سهلة المأخذ والعمل يذني المرء مراعاتها واستقصاء ما بقي من الآداب التي لم تذكر في هذا الحديث الشريف كترك النفخ للطعام وكغسل اليدين قبل الأكل وبمده محافظة على الصحة والنظافة وتأسياً بسيرته وشماله ، واخلاقه وآدابه صلوات الله وسلامه عليه ، وكحمد الله تعالى في نهايته على ما ساق إليه من نعم وما هياً له من خير الى غير ذلك من الآداب الكثيرة .

تحريم الخمر وانقياد الصحابة لاوامر الله

اخرج البخاري في صحيحه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ فاني لقاتم اُسقي ابا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال وهل يلصمكم الخبر فقالوا: وما ذاك قال: حرمت الخمر قالوا: أمرق هذه القلال يا أنس قال: فما سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

* * *

جاء الرسول ﷺ بالدين الحنيف من عند الله تعالى والعرب قد استحكمت فيهم عادات ، ورسخت بهم تقاليد ورثوها عن الآباء والاجداد . وقد الفتها نفوسهم واستساغتها أبدانهم ، وجرت بهم مجرى الدم من جسد الانسان ، وتلك العوائد منها ما هو صالح للبقاء ولا ضرر منه على تكوين الامة وحياتها وذلك كالتمدح بالشجاعة والكرم ، والشهامة والعفة وما اشبهه ، ومنها ما هو ضار فاسد يريد الشارع الحكيم ﷺ ابعاده عنه وتبيين ضرره ومفاسده بمتنوع الطرق والاساليب وذلك كواد البنات خشية الفقر والعار ، او ما تعارفوه من تعاطى الميسر والخمر وغيرهما . ولهذا اقتضت الحكمة الالهية في التشريع في جملة صالحة

الفضيخ بفتح الفاء وكسر الصاد شراب يتخذ من البسر وحده من غير ان تمسه النار، والفضح الكسر لان البسر يشدخ أي يكسر ويترك في وعاء حتى يغلي، والحصر المذكور بقول أنس لعله كان بالنسبة لما كان عنده او لما اطلع عليه فلا ينافي انه كان بالمدينة خمر غير الفضيخ .

من الاحكام ان يتدرج النبي ﷺ بهم بتحريمها شيئاً فشيئاً كما وقع في تحريم الخمر على ماسذينة .

سئل سيدنا رسول الله ﷺ عن الخمر والميسر وحكم الله بها ، فأجابهم بما جاء في سورة البقرة بقوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإثمها أكبر من نفعها) فلم يطلب الله في هذه الآية الانكفاف والابتعاد عنها صريحاً وإنما يفهم ذلك منه من علت مداركه وصمت نفسه ، وفطن لاسرار التشريع الآلهي وعلم ان ما عظم ضرره ، وزاد اثمه ، وقل نفعه يتأكد في حق المرء تركه إذ لا يوجد ما هو شر محض ، ثم اتبع الله جل شأنه بآية النساء المصراحة بنهيهم عن الصلاة وهم في حالة السكر وغياب العقل حتى يعلموا ما يقولون في صلاتهم فقال : (يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فجاءت مؤكدة للآية السابقة ، وناهية عن تعاطيه في حالة مخصوصة وذلك في الصلاة ، ومعلوم من الدين بالضرورة ان الصلاة تتكرر في خلال اليوم والليلة خمس مرات متعاقبة ولا يتسنى لشارب الخمر ان يشربها ويأمن على نفسه من نشوتها قبل دخول الوقت الثاني للصلاة ، فان لم تكن هذه الآية مانعة لتعاطيها فهي مقابلة له . ثم نزلت آية المائدة مصراحة بالتحريم البات والنهي القاطع بحظرها وازوم الكف عنها فقال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) . وجاءت الاحاديث الصحيحة من كلام رسول الله ﷺ مؤكدة لتحريمها ، ومبينة لما يفتج عنها من اضرار ومفاسد ، ومشاحنة وبغضاء ، وما عسى ان يتولد منها من امراض فتاكة ، واسقام وعلل مضنية تؤدي بشاربها الى الهلاك وخسارة الدنيا والآخرة . وفي هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه يتجلى بوضوح تام ما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ من حب امتثال اوامر

الله ورسوله والمساواة في اجتناب نهيبها ، والعمل على مرادها مما سنعرض له شرحاً وتبييناً .

بينما كان الصحابي الجليل ابو طلحة زيد بن سهل الانصاري في منزله بالمدينة المنورة ، ومعه نفر من الصحابة الكرام جاءت تسميتهم في رواية مسلم وم : ابو دجانه ، وسهيل بن بيضاء ، وابو عبيدة ، وابي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وابو ايوب ، يسقيهم انس بن مالك ربيب ابي طلحة الخمر ويدير عليهم بكؤوسها وذلك قبل تحريمها (اذ جاء رجل فقال : وهل بلفظكم الخبر فقالوا : وما ذاك قال : حرمت الخمر) يعني حرما الله تعالى تحريماً باتاً ، ونهى عنها على لسان رسول الله ﷺ فلم يترددوا في صدق الخبر وبادروا بهمة صادقة ، وعزيمة قوية ، وايمان ثابت متين ، و (قالوا امرق هذه الفلال يا انس) والقلال : الجرار التي لا يقل احدها الا القوي من الرجال لضخامتها (قال) انس (فما سألوا عنها ولا راجعوا بمد خبر الرجل) . وانما لم يسألوا عنها ولم يراجعوها لما وقر في صدورهم وكن في افئدتهم من ايمان صادق واسلام صحيح .

هذا ما كان من عمل هؤلاء الصحابة حيال امر الله ورسوله ، واستجابة رغباتها ، والسير على منوالها ، حقق الله بالخير رغباتنا والهمنا السيرة الصالحة والقدوة الحسنة .

الدرس الثامن والعشرون

فضيلة تلاوة القرآن الكريم

أخرج البخاري في صحيحه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحبى قريباً منها فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتبره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له : إقرأ يا ابن حضير إقرأ يا ابن حضير قال : فاشفقت يا رسول الله أن تطأ بحبى وكان منها قريباً فرفعت رأسي فانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال : وتدررون ما ذلك قلت : لا قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت : لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم .

القرآن الكريم هو النظام الإلهي ، والوحي المعجز . والدستور الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد ضمن الله حمايته وكفل حفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فلا تصل إليه يد العاصين بتغيير وتبديل أو تحوير وتزوير .

والقرآن الكريم هو أساس الشريعة الإسلامية ، ومنه يستمد الأحكام الشرعية ، والمسائل الفقهية ، والعلوم الكونية . والحق أنه عمادنا في أمر ديننا ودنيانا ، فالماقل من يكثر تلاوته واستدكاره للاهتداء بهديه ، والاسترشاد

بمواظبه ، والاعتبار بقصصه ، والالتقاط من درره وحكمه ، كيف لا وهو أساس الفصاحة ، وينبوع البلاغة والبراعة فتجد الخطيب المصقع ، والشاعر البليغ يقتبسان من آياته ، ويستمدان من عذوبة الفاظه ومعانيه ما يزينان به كلامها ويحسنان به مقالها .

هذا موضع القرآن في جلالته وتأثيره ، فملي المؤمن التمسك بأهدابسه ، والمسارة الى امتثال أمره واجتناب نهيه ، والوقوف عند حده ، وبمقدار اتصال القلب به وتفكير العقل فيه تكون درجة المرء عند الله تعالى ، وما من امريء يتعاهده بالتلاوة والحفظ ، والفهم والعمل الا نزلت عليه السكينة ، وحفته الملائكة كيف لا وقد قال النبي ﷺ : يا أبا رزين اقرأ القرآن فانه نور لك في الارض وذخر لك في السماء . وتأمل ما حدث للصحابي الجليل سيدنا أسيد بن حضير رضي الله عنه :

(بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة) وفي رواية سورة الكهف (وفرسه مربوطة عنده اذ جالت الفرس) يعني اهترت واضطربت اضطراباً شديداً (فسكت) أسيد عن القراءة (فسكنت) الفرس عن الاضطراب (فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس) أيضاً (فانصرف) أسيد (وكان ابنه يجيى قريباً منها) أي الفرس (فاشفق) أي خاف أسيد (أن تصيبه أي تصيب الفرس ابنه) فلما اجتره) يعني اجتر أسيد ابنه (رفع رأسه الى السماء حتى ما يراها فلما اصبح حدث) أسيد (النبي ﷺ) بما جرى (فقال له) ﷺ (اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير) والمراد الاستزادة من القراءة حال رؤية الملائكة ونزول السكينة ، وكأنه عليه السلام يحضه ويستزيده على مداومة القراءة وعدم قطعها (قال) أسيد (فأشفقت) خفت ووجلت (يارسول الله أن تطأ) الفرس ولدي (يجيى وكان منها قريباً فرفعت رأسي فانصرفت اليه) أي الى ولده (فرفعت رأسي) ثانياً (الى السماء فاذا مثل الظلة) والمراد بالظلة السحابة كانت فيها الملائكة ومعها

السكينة فانها تنزل ابدام مع الملائكة قاله ابن بطال . (فيها امثال المصاييح فخرجت حتى لا اراها قال) : النبي ﷺ مخاطباً لاسيد ومن معه (وتدرؤن ما ذاك قلت لا قال تلك الملائكة دفت) أي قربت (لصوتك) وكان سيدنا أسيد حسن الصوت وفي رواية قال له عليه السلام (إقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود) ولو قرأت) أي دمت على قرأتك ولم تقطعها (لاصبحت ينظر الناس اليها) أي الى الظلة وفيها الملائكة (لا تتواري) أي تستر (منهم) .

وفي هذا الحديث بيان فضيلة من يتعاهد القرآن الكريم بالتلاوة والاستذكار آناء الليل والنهار ، فتبسط عليه الرحمة ، وتغشاه الملائكة كما حدث لسيدنا أسيد بن حضير رضي الله عنه . وفي حديث البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالإترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالخنظلة طعمها مر وخبث وريحها مر) فليجهد الانسان نفسه أن يكون قارئاً للقرآن تاملاً بضمونه وما اشتمل عليه من أحكام ، وحلال وحرام ، مؤمناً به محباً لتلاوته حتى يكون مثله مثل الإترجة لذيد الطعم طيب الرائحة والنكهة .

الدرس التاسع والعشرون

حفظ اللسان والفرج

أخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول
ﷺ : من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة .

* * *

هذا الحديث على الرغم من إيجازه فهو وصية ثمينة من أبلغ الوصايا وأقيمها، واجلها
وانفمها . فقد اشتمل على الأمر بحفظ عضوين وتماهدهما بالرعاية والاستقامة ،
والرقابة والصيانة ، ألا وهما اللسان والفرج . وبحق ان اللسان والفرج لان اطلق
سراحهما في الشهوات والمذات وطرق الغي والفساد كانا اصل البلاء والفتنة ،
والشر والهلاك . فالعاقل من يبصر مواقع الكلام ، ويحفظ لسانه من الفضول
والهذيان، وفي الحديث (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت)
وان زلة من زلات المرء في لسانه ، قد تؤدي به الى الهلاك والمطب ومفارقة أهله
وولده واصدقائه وجيرانه ، فليحذر المرء مما يجري به لسانه وليستعمله اداة خير
وإصلاح ، فهو خير وسيلة الى طريق النجاة والفلاح . ولا تحسبن أن حفظ اللسان
قاصر على الصمت في موضعه او الكلام ، بل يتعدى الى حفظه من طعام مشبوه
او حرام . ومن المعلوم ان اللسان هو الوسيلة لمضغ ما يأكله المرء وقذفه الى المعدة
بيت الطعام ومستقره ، وليصنه من الزلل والحرام فهو خير له في طاقبة امره .

اللحيان : بفتح اللام وسكون الحاء العظامان في جانب الفم النابت عليهما
الاسنان علواً وسفلاً . والمراد اللسان وما ينطق به . والمراد بما بين رجليه الفرج .

وثانيها : حفظ الفرج بترك التمدي على اعراض الناس وحرمتهم ووضعهم في الحلال من الطرق المشروعة وكفه عن الزنا والحرام .

والزنا آفة وبيلة على المجتمع الانساني توقع بين افراده المداوة والبغضاء ، والتخاصم والشحناء ، وهي دالة على خسة مرؤة من يتعاطاها ، ومؤذنة له بالامراض الفتاكة والملل المزمنة والاسقام . وجاءت الشرائع السماوية محظرة من هذه الآفة الممقوتة المتحقق ضررها وفسادها في الارض ووصف الله الزنا بكتابه بأخس الاوصاف وأشرها ، وبالغ بالامر بالابتعاد عنه فقال تعالى : ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً) وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) .

فالعاقل من يتعد عن الموبقات ، والآفات المزيريات . وليحفظ لسانه وفرجه من الوقوع في المهلكات فقد ضمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ضمنها الجنة .



الدرس الثلاثون

قول الخير أو الصمت واکرام الجار والضيف

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه

* * *

بين الرسول الاعظم ﷺ في هذا الحديث أموراً يتضمنها الايمان الكامل ، والاسلام الصحيح المؤدي بالمرء لسعادة الدنيا والآخرة .

أ - قول الخير او الصمت . فمن آمن بالله واليوم الآخر وصدق بوعدده ، وخاف وعيده كان إيمانه حافزاً له لان يقول الخير ويجاهر به ويدعو اليه ، فمن لم يتسرله قول الخير والمعمل به والدعوة اليه فليصمت فهو خير له ، وآفات اللسان كثيرة كما بيناه في غير موضع من هذا الكتاب ، قال تعالى : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقد ذكر العلماء ان هذه المبارة من جوامع كلمه ﷺ لان القول كله إما خير وإما شر وإما آيل لاحدهما وراجع له . فدخل في الخير كل ما طلبه الشارع الحكيم ﷺ على سبيل الوجوب والتدب او اذن فيه الشارع على اختلاف انواعه وما يرجع اليه ، وما عداه فهو من قبيل الشر المأمور بالامسك عنه والصمت وترك الخوض فيه .

٢ - إكرام الجار : لاجار حقوق كثيرة وقد اوصى الله تعالى بالاحسان اليه في كتابه في مواضع كثيرة منها قوله : (وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى

والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب) وتختلف مراتب الجار في الحقوق والواجبات فبعضها اعلى من بعض . فالجار المسلم القريب او لى ممن لم تتوفر فيه هذه الصفات او بعضها ، وإنما يكون الاحسان اليه و اكرامه بعمل ما تستطيع القيام به من انواع البر فان جاع اطعمته ، وان عري كسوته ، وإن مرض عدته ، وإن استعانك اعنته ، وإن نزلت به كارثة في نفس او مال فرجت همه ، وخففت حزنه وألمه ، وإن نالته سعادة هنأته ، وان مات شيعة ، وأن تحرم على مصالحه حرصك على مصالح نفسك . وفي حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه . وعن ابي شريح قال : قال النبي ﷺ : والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن بالله لا يؤمن ، قيل : ومن يارسل الله : قال الذي لا يأمن جاره بوائقه ، فإذا امر النبي ﷺ بالاحسان الى الجار بوجه عام سواء كان مسلماً او غيره ، قريباً أم بعيداً ، صديقاً او بغيضاً . صالحاً او فاسقاً ، فمن باب اولى ان يأمر بكف الاذى عنه وستر عورته ، وعدم إشاعة زلاته ، وإن من نعم الله على عبده ان يحوطه بجوار صلحاء امناء ، يشيعون حسناته ، ويسترون عيوبه وزلاته ، ويعلم انه مطالب به ومسئول عنه بين يدي احكم الحاكمين . وفي الحديث ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم .

٣ - اكرام الضيف : وإنما يكون اكرامه بحسن استقباله والبشاشة في وجهه . والضيافة خلق النبيين والمرسلين ، وعمادها المسارعة الى تقديم الطعام له مما عنده من غير كلفة وإسراف ، ومنادته للترويح عنه بذكر الاحاديث السارة والنوادر المستحسنة ، ويودعه كما استقبله بالبشر والسرور . والضيافة الشرعية ثلاثة ايام وما زاد عليها فهو صدقة من الصدقات ، وقد اوجبها بعض العلماء واكثرهم على انها من مكارم الاخلاق ، وحسن الشيم والعمادات .

الدرس الحادي والثلاثون

وحدة المسلمين واجتماعهم

أخرج البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى .

* * *

يمثل الرسول ﷺ وحدة المسلمين واجتماعهم بالجسد الواحد فإذا تألم منه عضو بمرض ونحوه سرى الالم لباقي الاعضاء فلم يستقر له حال ، ولم يهدأ له بال ، وفقد لذة النوم والمافية ، وكذلك المؤمنون إذا نزلت بهم كارثة ، أو آلت بهم نائبة في صقع من الاصقاع ، أو ناحية من البلاد تسألم الباقون لآلامهم ، وسمعوا بمواطنهم لرفع ما ألم باخوانهم من نوائب ، وما حل بهم من خطوب . وإن تباعدت أقطارهم ، وتناوت ديارهم تحقيقاً لأخوة الايمان ، ورابطة الاسلام المشار إليها بقوله تبارك وتعالى : (إنا المؤمنون إخوة) وبقوله : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) فالتوادد والتآلف ، والتعاون والتعارف واجب من آكد الواجبات على المسلمين لأنهم في دين الله إخوان ، وفي محبته اخدان ، والمسلم الغربي أخ المسلم الشرقي ، والمسلم الهندي شقيق للمسلم الحجازي ، وهكذا بقية أفراد المسلمين ، إخوان أجباء ، وأعوان أوفياء رحماء تحقيقاً للاعتصام المنشود ، والوحدة المطلوبة بقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ولما أثر عن السيد الحكيم ﷺ من

قوله : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه) فحري بالمسلمين ، وجدير بالمؤمنين الموحدين أن يكونوا كتلة واحدة ، وصفاً واحداً متراساً على نواب الدهر وحوادث الزمن ، وليعلموا أن بالتفرق والاختلاف ، والتنازع والشقاق يكون الهلاك والمعطب . والخسران والزوال على حد الآية الكريمة (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) فالمسلمون بمجموعهم كشخص واحد ، وكل فرد بالنسبة للمجموع كالمضو بالنسبة للشخص ، فاذا أصاب الخير واحداً منهم فكأنما أصاب الجميع ، والشر يصيب الواحد أيضاً فكأنما وقع ألمه على المجموع .

وفي هذا الحديث عظة بالغة ودرس عظيم لاوائك المسلمين الذين لا يهتمون بأمر اخوانهم ، وما نزل بحيرتهم من كوارث ومحن ، ومصائب وفتن . والنبي ﷺ يقول : من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم . والله المسئول أن يوفق المسلمين للوحدة والاجتماع ، وبذ التناكر والاختلاف ، فهو خير مسئول وأفضل مجيب .

